

السنة الأولى

يحفظ الطالب جزأين ونصف الجزء بالإضافة الى ثلاثين حديثاً عن تهذيب الاسلام لفريزة الجنس وجزاء الزكاة في الدنيا والآخرة .

السنة الثانية

يحفظ الطالب جزأين ونصف الجزء بالإضافة الى ثلاثين حديثاً عن الحدود في الاسلام وحد شارب الخمر ويأمر به بحث عن المخدرات .

السنة الثالثة

رابعاً : المرحلة الجامعية :

يحفظ الطالب في كل سنة جزأين فقط ويدرس في كل سنة جزءاً من التاريخ الاسلامي . وهذا المنهج يطبق في كل مراحل التعليم حتى التعليم الصناعي والزراعي والتجاري .

إذا توخينا هذا المنهج مع المناهج المقررة وسرنا على هذا الدرب أصبح كل فرد عنده من الدين ما يصلح أمره ويقوم سلوكه ونجد الضمائر مستيقظة ويعمل كل فرد في موقعه بجد وبإدراك من عقيدته وبإبى الكسل ويألف التسلق على اشلاء الغير او اكتافهم . ويستقر نفسه أن قصر فهو يعمل كأن الله يراه ويخاف من الله أن يتزلف لرؤسائه . فإذا كان كل امرئ في المجتمع كذلك وصلوا بجمعتهم الى قمة المجد وهايتهم الامم .

قبل فوت الاوان : -

لقد ظهرت الجماعات الاسلامية في كل بلاد وفي كل جامعة وعملاً امر طبيعي لا فتقار الناس الى تعليم الدين ليتجددوا في انفسهم رغبة في طيم دينهم فيتجهون الى تلك الجماعات ليتعلموا شيئاً عن دينهم ويحفظون كتاب ربهم . فلو طبق هذا المنهج وضعت الشريعة الاسلامية ما ظلت هذه الجماعات فان الكل يعرف دينه ويحفظ القرآن . فان اقبلنا تعليم الدين في المراحل التعليمية لعرضنا المجتمع المصري في السنوات القادمة لنهيار خلقى وفنعة يعلم ان عاقبتها .

تم بحمد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ،
سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه اجمعين .
وبعد . . .

تعد قضية « التوحيد » ، واثرها في توجيه ضوابط السلوك « من ضمن
القضايا التي تستحق ان تطرح في اكثر من ميدان ، وعلى اكثر من صعيد ،
لما لها من أهمية خاصة ، من حيث كونها تعالج جانباً من تلك الجوانب التي
تمس منهج الاسلام في بناء الحياة ، التي توصف بالنهضة ، والتقدم
والتحضر ، والرقى ، الا وهو الجانب السلوكي ، وضوابطه .

وقد طرح بعضهم على الساحة ، ان الاسلام عقيدة فقط ، واوامر
خلقية مثالية لا صلة لها بالواقع ، محتجين في هذا الرأي ، بسلوك بعض
ممن انفصلت العقيدة الاسلامية لديهم عن مناهج حياتهم ، بل عن افاق
تفكيرهم ، في الوقت الذي فيه يحسبون ضمن راية الاسلام ، والواقع ان
اصحاب هذا الرأي قد عكسوا القضية ، وقلبوا مفهومها رأساً على عقب ،
فبدلاً من ان يزنوا مسلك هؤلاء بميزان ضوابط السلوك الاسلامية ، وما
تشتمل عليه من قيم ، ومفاهيم ، تراهم ينظرون الى الاسلام من خلال
ما يقوم به اولئك الذين لم يلتزموا بما تهدى اليه عبادته واتجاهاته ،
واحكامه .

والنتيجة التي يصلون اليها من خلال هذه الرؤية ، ان الاسلام يحدو
امامهم متمثلاً في الانماط السلوكية ، لهذه الفئات ، ثم يبنون على ذلك ،
ما يشامون من اوهام يحسبونها ، بل يعتقدونها حقائق ، ويذيعونها على
الله ، بل في المحافل التي يروق لها ان تعلن مثل هذه الاوهام ، وان
تنتشر بين الدارسين ، فضلاً عن غيرهم .

وواضح ان مازب هؤلاء لا تخفى ، ومن ثم فانت تراهم قد عاودوا من
جديد طرح قضايا قد مضى القول فيها ، واثارة مسائل قد افترق الباب
عليها ، وان كانوا - والحق يقال - قد اخذوا يخلفونها في قوالب عصرية ،
وتحت ستار واجهات ، او شعارات براقة ، كالنهضة ، والتقدم ، والرقى ،
والاصالة ، والمعاصرة ، وحرية البحث . . . الخ .

وكان هؤلاء يريدون أن يضربوا عصقورين بحجر واحد ، حيث يحسبون أن لقيفا من الدارسين سوف يقف مدافعا عن الاسلام وبعضهم قد يكون اشد حنكة منهم ، واكثر قدرة على المواجهة ، اما الكثير منهم فسوف يسلكهم بالسنة حداد ، دون أن يقدم شيئا ذا بال ، وهؤلاء في نظرهم يقفون في خندق واحد ، أو يلبسون عباءة واحدة ، ومن ثم فانهم يحاولون جاهدين أن يصوروهم على أنهم - وهم المدافعون عن الاسلام - لا يجيدون غير الشنائم ، وكيل السجاب ، في الوقت الذي فيه يقفون ضد تيار النهضة والرقى . وهنا يبدو الاسلام مناهضا للرقى ، وحجر عثرة في وجه التقدم علوة على نزمت الدعوة اليه ، وانهم يعملون على وأد حرية الفكر ، وبسأرونها . . الخ . وهذا هو العصفور الاول .

اما الثاني : فهو التأكيد على معاداة الاسلام ، ولا أقول « التيار الاسلامي » والاستمرار على محاصرته في كل معقل ، وفي كل مجال ، وفي كل ساحة .

ولعل هذه الدراسة المتواضعة تتناول جانبين مهمين في هذا الصدد :
الاول : ايضاح بعض جوانب عقيدة التوحيد ، وبصفة خاصة « توحيد اللاهوتية » مع التركيز على اهمية هذا الجانب الاعتقادي لدى انسان القرن العشرين الذي غرق في خضم التيارات المادية التي نهالت عليه من كل حذب ، وهسوب .

والثاني : هو ربط هذا التوحيد بضوابط السلوك من وجهة العقيدة الاسلامية ، او بمقاربة اخرى : اثر هذا الجانب من التوحيد في تحديد ضوابط السلوك ، التي يعتد بها الاسلام ، والتي تعبر في الواقع عن الحكم النهائي في هذه القضية ، حيث ان هذا التوحيد ، ودلالاته انما جاء به العلم الالهي الذي يقضى بالحق ، ويقطع به الى ان تقوم الساعة .

والنتيجة التي تخلص اليها هذه الدراسة ، هي الانتقال في مجال العقيدة الاسلامية من التجريد الى التطبيق ، ومن الفكر الى الواقع . وبهذا يتضح ان الاسلام ، او عقيدة الاسلام بمعنى اصح ، لا تكون ذات قيمة الا من خلال الواقع الحي المعاش ، كما يتضح ان المعايير او المفاهيم ، او الضوابط الاسلامية ، لا تفهم الا في ضوء التجربة الواقعية ، أي ان

التوحيد في الاسلام ليس فكرة تجريدية خالصة ، او نزعة مثالية راقية يصرح بها الفكر في دنيا الخيال ، والادهام ، وانما هو اتجاه واقعي يستجمع قوى النفس ، والعقل ، والروح ويهتدى بنور العلوم الالهية ، وحقائقها (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولا شك ان هذا الاتجاه هو الذي يدعم الرقى ، ويرقى بالحضارة ، ويسمو بالانسان .
والان ننتقل الى قضية - الايمان بالله - من حيث كونها المدخل الى حقيقة التوحيد .

الايمان بالله تعالى :-

تعد قضية الايمان بالله تعالى من القضايا الاساسية للمعقيدة الدينية في الاسلام . وفي هذا الصدد لابد ان تسترشد بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي ورد في الصحيحين . حيث يقول « عبيد الله بن عمر رضى الله عنه : (ت : ٧٣ او ٧٤ هـ) (١)

- والرواية للامام مسلم (ت : ٢٦١ هـ) - « حدثني ابي » عمر بن

الخطاب »

قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديه سواد الشعر ، لا يروى عليه اثر السفر ، لا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ! اخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال : فعجبنا له ، يسأله ويصدق . قال : فاخبرني عن الايمان ، قال : ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت . قال : فاخبرني عن الاحسان ، قال : ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . قال : فاخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فاخبرني عن اماراتها ، قال : ان تكد الامة ربتها ، وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون

(١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ، ص ٤ ، دار بيروت ، ص ١٨٧ .

فى البنيان - قال : ثم انطلق ، فلبثت مليا ، ثم قال لى يا عمر ! اتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » (١) .

فهذا البيان النبوى الكريم ، يتحدث عن الاسلام ، والايمان ، والاحسان مبتدئا بالشهادتين ، ومنتهيا بمراقبة الله تعالى ، فإنه يراخا ، وثمة احاديث اخرى ، ترى فيها شمول الاسلام لكل شيء ، واخرى فيها شمول الايمان ايضا ، والتفصيل فيها ليس هذا موضعه ، وان كانت كلها تختلف حسب الظروف ، التى يقال فيها : الاسلام - الايمان (٢) .

فطريته :

إذا كان الايمان بالله تعالى فطريا ، وإذا كان معنى هذا أن الطبيعة التى خلق الله الانسان عليها ، والمسجيا التى يتصف بها ، والامكانيات التى زود بها ، والافاق النفسية والعقلية التى تعد من خصائصه تقوده - حتما - بصفة تلقائية ، وطبيعية الى معرفة الله « الخالق » حيث أن الانسان قد أبدعه الصانع الخالق لكى يعبهه ، وهذه الغاية لابد أن تكون ذات تاثير جوهرى على طبيعة ، وخصائص ، وقدرات ، وملكات وامكانيات هذا المخلوق ، الذى اعد وخلق للعبادة .

ومعنى هذا كله أن معرفة الله الخالق ، تعد حقيقة ضرورية متسقة ، ومرتبطة ارتباطا عضويا بأرقى الملكات الانسانية ، ومتلائمة مع ادق وأسمى المشاعر الانسانية ايضا ، شريطة أن تظل هذه وتلك ، فى معزل تام على عوامل الفساد والافساد وثائية عن طرائق التوجيه المضاد ، وشريطة أن تحتفظ بنقاها وصفاتها - أقول : إذا كان الامر كذلك ، فإن فإن عقيدة « الايمان بالله » فى حد ذاتها لا تكون بحاجة الى نصوص ، او وثائق من هنا أو هناك ، فهى فطرة الله التى فطر الناس عليها ، كما ذكرنا من قبل .

ومن ناحية اخرى فإن الجانب الفطرى - وحده - لا يكفى فى تشكيل

(١) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ج ١ ص ١٤٤ ، الطبعة المصرية .

(٢) انظر : فتاوى الرياض لابن تيمية ، مج الايمان الكبير ، والاوسط حيث افاض فى هذه القضية افاضة شافية .

أو « تكوين » كل جوانب ، أو « قواعد وأسس » العقيدة الصحيحة . ومن ثم كان لابد من الرجوع إلى الشرع المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة الموثقة ، لتلقى « العلوم » أو « الحقائق العلمية الدينية » المتعلقة بتلك القواعد ، والاسس ، يقول شارح الفقه الأكبر : « ثم العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع الذي هو الأصل ، وإن كانت مما يستقل في العقل . والا فعلم انبياء الصانع ، وعلمه وقدرته ، لا تتوقف من حيث ذاتها على الكتاب والسنة ، ولكنها تتوقف عليهما من حيث الاعتقاد بها ، لأن هذه المباحث إذا لم يعتبر مطابقتها للكتاب والسنة كانت بمنزلة العلم الإلهي للفلاسفة ، فحينئذ لا عبرة بها على ما ذكره المحققون » (١) .

مصادره وضوابطه :

ومعنى هذا الكلام أن « العقل الفطري » أو « الفطرة البشرية » لابد أن تعترف بضرورة وطبيعة بقاء الخالق ، وتؤمن بوجوده ، لها خالقا ، مدبرا ، بيد أن هذا الإقرار أو الاعتراف لابد أن يصحبه تصور معين لأسماء الآله ، ولما يتصف به من صفات . وهذا التصور لا يعد مقبولا إلا إذا كان موافقا لما أخبر به الانبياء والرسل نقلا عن الله الخالق ، وتلقيا من وحيه سبحانه اليهم . ومن ثم فالتصور المتعلق بالله سبحانه ، وبصفاته لا يصح أن يترك الأمر فيه إلى الأحكام والتصورات العقلية ، لأنها قد يجنح بها الشطط بعيدا عن حدود الحقيقة الواقعية الثابتة المتعلقة بذاته سبحانه وبصفاته . ومن أجل هذا أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب ليوجه العقول إلى الصواب ، ويصحح شططها في الاعتقاد ، أو بعبارة أخرى ليوضح لها كل جوانب الحقيقة الخاصة بالاعتقاد ، وليبين للناس الاعتقاد الصحيح في آله الخالق ، وليرشدهم إلى المنهج الحقيقي المصائب المتعلق بالاعتقاد المواقفي لما هو حق وواقع .

قال تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من من الكتاب » (المائدة : ٤٨) . ويقول الله تعالى بشأن القرآن الكريم :

(١) الامام أبو حنيفة ، الفقه الأكبر . وترجمه للإمام ملا علي القاري ، مصر ، دار الكتب العربية ، بدون تاريخ ، ص ١٠ .

« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ، وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » (الاسراء ١٠٥) ويقول سبحانه معلما ومخبرا لنا عن احوال بعض الامم السابقة ، وعن مواقفهم الراقصة المتصلية في عناد تجاه من اصطفاهم الله ليكونوا رسله اليهم في اياتهم بالحقية ، وتعريفهم بما وقعوا فيه من اخطاء فادحة لا تمت الى الحقيقة بصلة ، ولا تعبر عن الواقع بأي شكل من الاشكال ، وتعريفهم ايضا بما ينبغي لهم ان يعتقدوه ، ويقولوه ، ويسلكوه . « ولقد استهزئ بهرمل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب . اقمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، وجعلوا لله شركاء ، قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض (١) ام يظاھر من القول ، بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ، ومن يضل الله فما له من هاد » (الرعد : ٣٢ - ٣٣) .

يقول ابن كثير في تفسير آية الاسراء السابقة (١٠٥) : « يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد ، انه بالحق نزل ، اي متضمنا للحق ، كما قال تعالى : « لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزلناه بعلمه » (النساء : ١٦٦) ، اي متضمنا علم الله الذي اراد ان يطلعكم عليه ، من احكامه ، وامره ونهييه . وقوله : « وبالحق نزل » اي ووصل اليك - يا محمد - محفوظا محروسا ، لم يشب بغيره ، ولا زيد فيه ، ولا نقص منه ، بل وصل اليك بالحق ، فانه نزل به شديد القوى ، الامين الحكيم المطاع في الملأ الاعلى » (٢) .

فان كثير هذا يشير الى امرين جديرين بالاعتبار :

الاول : ان القرآن بما فيه من احكام ، وارشادات ، وتوجيهات ، ومواعظ ، واخيارات ، للعالم بمصالح العباد ، ومصائره ، انما يمدنا بالحقائق العلمية التي لا يمكن للبشر ان يصلوا اليها ، او يتمكنوا من الكشف عنها . ومصدر تلقى هذه الحقائق ، هو العلم الالهي الذي يعلم السر في السموات والارض فهو اذن مصدر توفرت له ضمانات : انفة ،

(١) اي مسموع لكنه باطل لا حقيقة له ، وظن لا اساس له (تفسير الطبري

ج ١٦ ص ١٦٦ ، تحقيق محمود شاكر) .

(٢) تفسير ابن كثير ، مج ٥ ط الشعب ، ص ١٦٥ .

والثقة ، والعلم بالخبايا وبمكنون الخفايا التي لا يقدر بشر ان يطلع او يصل اليها بجهده البشري وحده ، ولكن لابد من العون الالهي كما يشاء سبحانه .

والامر الثاني : ان هذه الحقائق كانت بمعزل عن العبث ، وبعبدة عن التشويه ، فتوفرت لها كل الضمانات التي تؤكد ثباتها ، واصلتها ، وطهرها ، وثباتها ، ومن ثم حجيتها المقاطعة ، وبقينها الاكيد الصارم . وعلى هذا فالذي نود ان نصل اليه من خلال هذا الايضاح هو ان الكتب السماوية من حيث كونها المصدر الاوحد للعلم اليقيني الثابت الصحيح المتعلق بالاسرار الكبرى في الكون ، وكذلك الاخبارات الانبياء الصحيحة الموثقة ، من حيث كونهم لا ينطقون عن الهوى ، تعد الغيصل في كل تصور عقلي بشري ، مهما كانت منزلة صاحبه .

ولا ادل على هذا من ان القرآن ، وهو الكتاب السماوي الاوحد الذي بقي صحيحا تماما - كما ذكرنا - يصحح العقائد الباطلة ، ويضع نصب اميننا بعض الانحرافات البشرية ، كما رأينا في النموذج القرآني الذي قرأناه من سورة الرعد ، يقول الامام الطبري في تاويل الايتين السالفتين : (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ان يستهزى هؤلاء المشركون من قومك ، ويظنوا منك الايات تكذيبا منهم لما جئتهم به ، فاصبر على اذاهم لك ، وامض لامر ربك في اذارهم والاعذار اليهم ، فلقد استهزات امم من قبلك قد خلت قمضت ، برسل ، فاهلكت لهم في المهل ، وصددت لهم في الاجل ، ثم احللت بهم عذابى ونقمتى حين تعادوا في فيهم وضللهم ، فانظر كيف كان عقابى اياهم حين عاقبتهم ، ألم اذقهم اليم العذاب ، واجعلهم عبرة لاولى الابواب) ؟ (١) - هذا في الآية الاولى . ويقول في تاويل الثانية : (يقول تعالى ذكره : افاأرب الذى هو دائم لا يبدي ولا يهلك ، قائم يحفظ ارزاق جميع الخلق صامن لها ، عالم بهم ، وبما يكسبونه من الاعمال ، رقيب عليهم لا يغرب عنه شيء ايتما كانوا ، كمن هو هالك ، بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شئاً ، ولا يدفع عن نفسه ، وعن يعبده سرا ، ولا يجلب اليهما

(١) تفسیر الطبري ، تحقيق محمود شaker ، ج ١٦ ، ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

نعم ، كلاهما سواء . (١) •

ومع أن الله هو الخالق ، الرزق جميع من في الكون ، يستوي في ذلك المشركون وعبرهم ، وهو سبحانه ، يدبر أمورهم ، « والحافظ عليهم أعمالهم » مع هذا فقد جعل الله شركاء من جنسه ، يعذبها من دونه . فقال الله تعالى « قل لهم يا محمد سموا هؤلاء بدين شركتموهم في عبادة الله ، فانهم من صواب آية ، فقد كذبوا ، لأنه لا إله إلا الواحد يعبد لا شريك له » أم يثبتونه بما لا يعلم في الأرض ، « يعذبوا » تحبسونهم من في الأرض بها ، ولا إله غيره في إلا من ولا هي أسماء .

(١) وهكذا يجد أن القرآن الكريم — وهو كلام الله — يبين لنا في جميع المقامات ، ولافتار في ما فيه من حقائق واضحة ، وبرهان حير به يسون ، وثبت به واضح منه ، من بين كاسف ، وبصبح قطع السجدة والبدلة « وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » (بقر ٧) « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسموها تسليما » (النساء : ٦٥) « فان تراءتُم في شيء فخذوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (النساء : ٥٩) •

(ومن عيد الله من عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هره ثبعا ، حدث به ، قال يسوي » حديث صحيح ، روي في كتاب « الحجة » بسناد صحيح •

ومع أن ابن رجب قد استبعد صحة هذا حديث ، لأن « معناه صحيح قطعا » وإن لم يصح اسناده ، وأصله في نفع ، الكريم كثير له كقوله تعالى « وما كان لؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله أمرا أن يكون بهم حيرة من أمرهم » (الحرب : ٣٨) وقوله « فان لم يستحيوا فليذنبوا » (القصص : ٥٦) (٣) •

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٢ وانظر ص ١٦٣ — ١٦٤

(٢) نفسه ، ص ١٦٥

(٣) نفسه ، ص ١٦٥ •

الايمان والتوحيد :

واما من قضية الايمان بالله هو فكرة « التوحيد » وقضية التوحيد تتطلب منا ان نعالجها من جوانب عدة منها ان نبين معنى التوحيد -
- وان نلمح الى ما يثبته الدرسون في معهد العلم من تسمية هذه الفرع من الدراسة بـ « علم التوحيد » وما يسميه به بعضهم من اسماء اختصروا *

- ومنها ان يتناول اسماء هذه التوحيد ، او جوانب التي درج عليها الباحثون في هذا المجال .

- ومن خلال ذلك كله سوف يستعرض بعض تفصيل اتي يطرح على الساحة ، ونسب يحاول بعضهم من حلها ان يفتوا المستمعين بمناهج اهل السنة بالجمود بمعنى ، و الفكري ، بيد ان سوف نعرض من هذه المناهج ، ونحاول ان نبين ملامحه ، ونناقش مثال هذه الماهم بان لا معنى للتوحيد ، وعلم التوحيد :

ومعنى التوحيد ، لاقرار بانه واحد - سبحانه - محال حدير نكل امور عباده ، وامور جميع المخلوقين ، « والبرية من عبادة كل ما سوى الله والافتبال بالغيب والعبادة على الله ، وذلك هو معنى الايمان بالله وهو معنى « لا اله الا الله » (وبشير القران بكرام الى هذه الحقيقة الحيوية في كل سورة بها يقطع بان هذه القضية تعد لب عقيدة الايمان في الاسلام ومن ذلك قوله تعالى « واليهكم الله وحده لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (بقره ١٦٤) وقوله تعالى حكاية عن مؤمن (يسر « وما الى الا عبد الذي فطرني ، واليه مرجعون - اتحد من دونه لاله ان ان يرد الرحمن بصر لا من على شفاعتهم شيئا ، ولا يفتدوا ، اتي ادا في هلال مبين « سورة يس : ٧٢ - ٧٥ .

والله لا يولي نصيبا حبارا الهه بانه لا اله غير الله ، ولا يكتفى عن حقيقة واقعه بلعت اعصى درجات الزناقه ، واسمى مرتب

(٢) الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، تفسير التحرير الحميد ، في شرح كتاب التوحيد ، ط ١ / ١٤٠٠ هـ ، ص ٥٦٨ - ٥٦٩
(١) المصدر السابق ، ص ١٤٠

العلم ، فقد من علم غيب ، أدى لا يسير لبشر أن يصل إليه ، كما لا يحق لبشر أن يجادل فيه ، أو يمارى في صحنه ومن ثم وجدت حكاية القرآن الكريم عن مؤمن سورة يس سورة ر يس ٢٣ - ٢٥) توضيح لدن عبدة لايمان لديه قد هاض على مستجاب وبعد بهد به سبحانه وحده هو بحالي لدى فطرني وانه سبحانه اليه انصير ، وانه وحده - انصرف في ثبوت خلفه فمن اراد بصر لا يملك حد ان يخلصه منه مهب كاذب فوه وهذا فلا بد ان يعبد وحده دون غيره وهذا فقد عقب على هذه المقدمات والمستجاب الواضحات بأنه لا يم يؤمن بحبيب نقضيه بل الحقائق صوف تكون حلالا صلابا ميب ، وسبب حد الضلال به في هذه الحالة - يكون حد عرس عن الحقائق وندوم الحقيقية وايبح الجمال والاهام نبي لا حقيقه لها ومن بعد ه الصلال الواضح من هائل ٩ ٩

ومن حق حد من موضوع العبدة بعلم التوحيد ، يقول الامام محمد عبده و التوحيد منه يبحث فيه عن وجود الله ، وما يجب ان نشك به من صفات ، وما يجب ان يوصف به ، وما يجب ان يسمى به ، ومن الرتب لادبائ رسالهم وما يكونو عليه ، وما يجوز ان ينسب اليهم ، وما يمنع ان يلحق بهم (١) وهذا التعريف يشير الى بعض الموضوعات التي تعالج في طار فضيه التوحيد وبذلك يقول انص معنى التوحيد اعتقاد ان الله واحد لا شريك له وسمي هذا العلم به تسمية به بأهم اجزائه ، وهو ثبات التوحيد لله في الداب والحق في حق لاكون وانه وحده مرجع كل كون ، ومنتهى كل قصد وهذا مطلب كاس المعاني العظمى من بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما نعهد به باب كتاب التعريف (٢) وقد جاء في صحيح مسلم عن ابن مالك الاسحفي ، عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال لا اله الا الله ، وكفر به بعد من دون الله ، حرم ماله ، ودمه ، وحسابه على الله (٣)

الشيخ محمد عبده ، رسالة اسم جد - عصر دار المعارف ط ٥ / ٥
١٩٧٧ هـ ص ٣١

(٢) نفسه ، ص ٢١

(٣) تفسير التحرير الحميد ، ص ١٤

ويشير التهانوي إلى أن هذا العلم يسمى بعلم الكلام ، ويسمى بعلم أصول الدين كما يسمى بالحق الأكبر أيضاً ، وبعضهم يسمونه بعلم النظر والاستدلال يقول التهانوي : (علم الكلام ، ويسمى بأصول الدين أيضاً ، ويسمونه « أبو حنيفة » رحمه الله تعالى بالحق الأكبر ، ويسمى بعلم النظر والاستدلال أيضاً ، ويسمى أيضاً بعلم التوحيد والتصافى ، وهي شرح العقائد لمقتاراسي ، انعم متعلق بالأحكام الشرعية ، أي العممية ، يسمى علم الشرائع والأحكام ، وبالأحكام الخاصة أي الاعتقادية يسمى علم التوحيد وخصائصه) (١) .

وقد كان لعلماء السوف و أهل السنة ونجمه موقف معروف من علم الكلام ، وطرائق المتكلمين التي لا يمكن أن تكون ذات تأثير حاسم هي الحفاظ على العقيدة ، و الدفاع عنها ، حيث أن لهاج العقيدة التي كان يبعثها متكلمون ، وانعصايد العقيدة التي كانوا يديرون حولها فالتأثير لم يكن شافيه بحدود ، أو مبرره من الشكوك ، و محبته من أمراء السنة ولا عبرة صاحب ، ذلك أن هذه ونسب لا يخرج عن كونها مباحث أو اجتهدات تقوم بعقده فيها بلصاغة لعقيدة وعسير أن يحزر عقل بشرى الانتصار الكامل على عقل بشرى آخر ، ولذلك يقول السيوطي : « هم أن فقه أهل السنة ما زالوا يصفون الكتب هي هم علم الكلام ، والابتكار على معانيه واجب كتاب الف في ذلك » « هم الكلام » « رمله » « شيخ الاسلام أبي سماعيل بهروي . وهو كله مخرج بالاسانيد ، وأما الحصص هذا جميع مفادها فمختص بحدس قال : « أي شيخ الاسلام بهروي » ما بعد ، فإن هذه لامة لم يؤمنوا في دينها من شيء ما أودع عليه من قبل النكث والجدال ، وحب : « الامم السالفة » ولم يأتي بحير قط وكتاب الله انتهى شيء عديم ودرسوا مصنفين صلى الله عليه وسلم أكره الحق

(١) الشيخ دويقي محمد اعني ما عني : « كشاف اصطلاحات الفنون فيروم : شوكه حبيب نكتة والنسر سنة ١٦٦٦ » ص ٢٢ : انظر الشيخ مصطفى عبد الرزاق عفيف في تاريخ الفقه القسمة : « السرب » معبر : نجده التكبيل والترجمة ٢٧٩ هـ ١٥٩ م ص ٢٩ ٢٦٢

البحث متكلمين . فلف دونف الدواوين . والعت الكتب في هذه المسائل
اصبق على هذا العلم . بنور ، ما كان لقباً بهذه الابحاث قبل تدوينها
وعلماً على المتعرضين بها « (١) ثم يشير الى ان هذه السمية
« بالكلام » تعود الى احد احتمالين :

الاول ان هؤلاء الحاشيين في هذا المجال المتعلق بالعقيدة ومسائلها
انما تكلموا حيث كان ينبغي عليهم العكوت ، حسب مهنة ، وسدا لاثوانها
ويؤيد ذلك ما ذكره السيوطي في كتابه « صون المصطفى والكلام » من ان
« سفيا الثوري » كان يبعث هل الاهو ، وينهى عن محالستهم اشد
المهى ، وكان يقول : عيبكم بالاثر ، وايانكم والكلام في ديات الله (٢)
وروى يصف عن (محمد بن الحسن صاحب بي حنيفة) قال قال ابو حنيفة
لعن الله عمرو بن عبد الله فصح بنس الطريق الى الكلام فيما لا يعينهم
من كلام . قال وكان ابو حنيفة يحثنا على عقه ، وينها عن
الكلام (٣) .

والاحتمال الثاني ان الكلام في مجال العقيدة كان مفسر على
الجنب المضري وكان عبرة الى على الفهم او المعنى ، ومن ثم كان
استكمون بدورون في امثالهم حول مسائل تعبرية بحثة لا تتعلق بالفعل ،
ويؤيد هذا الاحتمال ما روى عن بي حنيفة عن الله عنه اد قال : « الفقهاء
في الدين الفهم من الفقه هو العلم » (٤) وكذا روى « عن مصعب بن
عبد الله الزبيرى ، قال كان مالك من امن يقول : الكلام في الدين يكرهه
ولم يرس اهل بيته يكرهونه وينهون عنه » (٥) .

وان كان الشيخ مصطفى امر روى يرجح هذين الاحتمالين فانه ممكن
ان يستخرج « يجب » فمعه حاصة تكمن ور ، ذلك اسمية ور ، موقف هل
اسم من عم الكلام ، وهو ان هذه معبلة بعصب تحمل في دلالتها معانى
الفقه ، وانحصر فيما لا ينبغى ، وذلك في المجال الدينى ، كما ذكره

(١) نفسه ، ص ٢٦٥

(٢) نفسه ، ص ٢٦٧

(٣) نفسه ، ص ٢٧٦

(٤) نفسه ، ص ٢٦٨

(٥) نفسه ، ص ٢٦٧

« شيخ الاسلام الهروي في كتابه « ثم الكلام » اخرج عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهارا ، وذلك عند كلامهم في ربهم » . « واخرج عن عمر بن الخطاب ، قال : ان حديثكم شر الحديث ، وان كلامكم شرار الكلام ، انكم قد حدثتم الناس حتى قيل : قال فلان ، فترك كتاب الله ، فمن كان قائما فليقم في كتاب الله والا فليجلس » (١) .

ومن ثم كانت التسمية بعلم الكلام لتحمل بين طياتها هذين المعنيين اللذين اشار اليهما الشيخ مصطفى عبد الرازق ، بالاضافة الى دلالة اللفظ ، والمخالفة ، والخروج عما ينبغي ، ومن ثم كان الظهور منها ، والاعراض عنها . وقد كان خوض المتكلمين في مسائل العقيدة التي تعد من موضوعات « علم التوحيد » . ولذلك اطلق بعضهم على هذا العلم ، مصطلح « علم الكلام » .

اما تسميته بعلم « النظر والكلام » فذلك راجع الى المناهج النظرية التي كان يصطنعها المتكلمون في مجالاتهم حول مسائل العقيدة ، وفصايلها . ولذلك يعرف ابن خلدون علم الكلام بقوله : « علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الایمانية ، بالادلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة » (٢) .

واما تسميته بعلم اصول الدين ، فواضح ان البحث في مسائل العقيدة يعد من اهم المباحث المتعلقة باصول الدين ، ومن اجل هذا سماه ابو حنيفة بالفقه الاكبر . وهكذا اتضح لنا ان قضية « التوحيد » هي لب العقيدة الدينية ، ومحور الارتكاز فيها منذ آدم والى ان يربث الله الارض ومن عليها كما كانت هذه العقيدة محور رسالات الانبياء جميعا الى بنى البشر حتى خاتم الانبياء والمرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وآيات

(١) المصطفى ، صون المنطق والكلام ، ص ٢٧ - ٢٨ ، النظر : التمهيد ، للشبح مصطفى عبد الرازق ص ٣٦٦ ، د . يحيى عاشم غرغل ، نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ، مصر . - مجمع البحوث الاسلامية ، ١٣٩١ هـ ، ١٩٧٢ م ، ص ١٢ .
(٢) التمهيد ، ص ٢٦١ ، نقلا عن المقدمة .

القرآن الكريم حافلة بما يدل على هذه الحقيقة ، ويؤكد على إبلاغها للعالمين في كل زمان ومكان . ومن ذلك قوله تعالى « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله ، واجتنبوا الطاغوت » فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (النمل : ٣٦) . ومنها قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . الآية « (الشورى : ١٣) .

فالتوحيد - إذا - يعد « أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل » ويعد أيضا « أول ما يدخل به في الاسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا » كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) (١) . وهو أول واجب وآخر واجب (٢) . وثمة أحاديث عديدة تشير إلى أهمية التوحيد ومنزلته من قضية الإيمان أو العقيدة . ومنها - على سبيل المثال - قوله صلى الله عليه وسلم : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » (٣) وقوله : « أن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله » (٤) .

القسام التوحيد

يشير أهل السنة والجماعة إلى أن عقيدة التوحيد تعنى : أنه هو وحده الخالق لكل ما في الكون . وأن كل ما سواه سبحانه مخلوق له وحده وهذا هو معنى الربوبية . كما تعنى : أنه سبحانه هو المستحق للعبادة ، والخضوع دون سواه . فهو سبحانه الملائكة ، والملائكة ، وهو وحده الذي ينبغي أن يتوجه إليه الناس ، كل الناس ، في كل لحظة من لحظات

(١) قال الشيخ الألباني : (حديث حسن أو صحيح . رواه الحاكم وغيره . وقد أخرجه في أرواء الغليل) + شرح العقيدة الطحاوية ، نشر المكتب الإسلامي ط ٤ / ١٣٩١ هـ ، ص ٧٨ .

(٢) انظر السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم بـ ٤٩ ، ومسلم في كتاب الإيمان . ورواه الترمذي والاسلم : أحمد في مسنده .

(٤) رواه البخاري في كتاب الصلاة بـ ٢٩ ، وكتاب التمسيد بـ ٣٦ ، وفي مواضع أخرى ، ومسلم في كتاب الإيمان وغيره . انظر تفريغ الحديثين في مفتاح تكميل السنة ، ص ١٠٤ مادة (التوحيد) .

نفوسهم ، وفي كل موقف من مواقف العقل والفكر ، وفي كل حالة من حالات اليأس ، والمحنة ، وفي كل حالة من حالات الرخاء واليسر والخمة . منه وحده يطلب العون ، والنصر ، ويطلب التوجيه ، والإرشاد ومنه تبتمد الهداية ، والمعرفة . وهذا هو معنى الألوهية .

فإذا كان الله وحده هو الخالق ، المتفرد بالرزق ، والاعطاء والمنع ، فهو إذن يكون محط آمال الداعين ، وملقّي رجاء الطالبين ، وإذا كان الله وحده هو مسبب الأسباب ، ومكون الأحداث ، فلا مناص من الالتجاء إليه وحده دون سواء ، والرجوع إليه وحده دون غيره . كما أنه لا يقبل عقلاً ، ولا واقعاً أن يشرك معه غيره في إيجاد الأسباب ، وإجراء الأحداث وإيقاع الحوادث . فهو المتصف بصفات الجلال والكمال ، وهو المنزه عن صفات النقص .

ومن أجل هذا قسم السلف التوحيد إلى ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

(لما كان - الله سبحانه - هو الأول الذي خلق الكائنات ، والأخير الذي إليه تصير الحادثات ، فهو الأصل الجامع فالتعلم به أصل كل علم ، وجامعه ، وذكره أصل كل كلام وجامعه ، والعمل له أصل كل عمل وجامعه وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته ، وإذا حصل لهم ذلك ، فما سواه إما فضل تالف ، وإما فضول غير نافعة ، وإما أمر مضر . ثم من العلم به تتشعب أنواع العلوم ، ومن عبادته وقصدته تتشعب وجوه المقاصد الصالحة . والقلب بعبادته والاستعانة به معتصم مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق ، واعتصم بالدليل الهادي ، والبرهان الوثيق . فلا يزال أما في زيادة العلم والإيمان ، وأما في السلامة عن الجهل والظلم) (١) .

وابن تيمية يقرر هنا أن ثمة حقائق ثابتة ، وجوهرية ينبغي أن تكون في حساب كل إنسان ، فضلاً عن أن يكون مسلماً . ومن هذه الحقائق ما يلي :-

- أن الله سبحانه هو خالق الكائنات ، وإليه وحده ينتهي مصيرها .

(١) فتاوى شيخ الإسلام ، ج ٢ / ص ١٦ ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧٦ .

- أن العلم بالله أصل لكل العلوم ، وجامع لها ، وهذا يؤكد ما نردده .
دائما أن جميع العلوم التجريبية ، والانسانية لابد أن تقود الى معرفة الله
الخالق والى التعمق فى هذه المعرفة ، كما يؤكد أيضا أن مفكرى الاسلام
الخلص لم يدركوا بخلدهم أن ثمة تعارضا بين الدين والعلم ، كما أنهم لم
يقبلوا التفرقة المصطنعة بينهما .

- أن فكر الله ينبغي أن يكون محور كل كلام ، ومعيار كل حديث .
- أن توفر الغايات الثبينة والاهداف الخلقية السابقة ، والدوافع
الانسانية الرفيعة لابد أن يكون اساس كل عمل انسانى فى أى موقع من
المواقع ، وهذا من شأنه أن يجعل الجزاء المادى او الادبى على هذا العمل
او ذلك انما يطلب فى الدرجة الاولى من الاله الخالق العليم ببواطن
الامور ، وبخفايا الاسرار والنوايا .

كما يقرر ان جميع الاهداف ، والغايات لابد ان تتوجه فى النهاية الى
الله ، وهذا التوجه لا يمكن ان يكون قيدا عليها ، - كما قد يتصوره بعضهم
من دعاة الحرية الاباحية - بل انه يعد حسب الواقع والتجربة ضمان سلامتها
ومصانم مقاومتها ، وحيللا امينا لتوقيها مزالق الانحراف ، وتجنبها الوقوع
فى حماة المهالك ، ومن ثم فهذا التوجه يصون الحرية ولا يفرط فيها ،
ويحفظها ولا يضيعها ، ويقويها ولا يوهنها .

ومن أجل هذا يكون الرجوع الى الله ، وعبادته وحده ، والاستعانة به
من أهم الضمانات الضرورية لسلامة الفكر ، ونقاء العقل ، وصواب الحكم ،
ودقة التقدير او كما يقول ابن تيمية : (والقلب بعبادته والاستعانة به
معتصم متمسك ، قد لجأ الى ركن وثيق ، واعتصم بالدليل الهادى ،
والبرهان الوثيق ، فلا يزال اما فى زيادة العلم والايمان ، واما فى السلامة
عن الجهل والكفر) . ولهذا كان الامام « احمد بن حنبل » رحمه الله
يعلم بعض اصحابه ان يدعوا قائلا : (يا دليل الحيارى ، هلنى على طريق
الصادقين ، واجعلنى من عبادك الصالحين » (١) .

» * «